

تاريخه

نزل القرآن بلغة العرب لأنها أفصح اللغات، فكان العرب يفهمون كلام الله عز وجل وكلام رسوله ﷺ، ولم يكن في عهد النبي ﷺ مدارس لتعليم العربية؛ لأن الطفل العربي يفهم ما تقوله العرب

واستمر الناس على ذلك حتى توسعت الفتوحات الإسلامية، ودخل كثير من العجم في الإسلام؛ فبدأ اللحن في اللغة وبدأ اللسان يختلف، وفشت العجمة. ويقال: إن أول من ابتكر علم النحو أبو الأسود الدؤلي في زمن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وذلك أنه دخل على ابنته وهي تنظر إلى السماء، فقالت: يا أبت! ما أحسن السماء -بضم النون وكسر الهمزة-؟ فأجابها: نجومها.

لأن قولها: ما أحسن السماء، يعني: أي شيء أحسن في السماء؟ فقال: نجومها، وهي لا تريد هذا، إنما تريد أن تتعجب من حسن السماء، فقالت: لست أريد هذا، إنما أريد أن أعجب من حسنها.

قال: يا بنية! افتحي فاك، قولي: ما أحسن السماء! لأنها إذا قالت: ما أحسن السماء! صارت الجملة جملة تعجب، وهذا هو المراد.

فذهب أبو الأسود الدؤلي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأخبره الخبر، وكأنه يقول له: أدرك الناس لا يفسد لسانهم، فوضع له شيئاً من القواعد وقال له: انح هذا المنحى، فسمي علم النحو^(١).

(١) انظر: «أخبار النحويين البصريين للسيرافي» (ص ١٥)، «توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك» (١/ ٢٦٥).

موضوعه:

موضوع علم النحو هو: الكلمات العربية من حيث البناء والإعراب. وهذا غالب موضوع علم النحو، وإلا فإنه يعرف به أحوال غير الكلمات؛ كالجمل التي لا محل لها من الإعراب، والتي لها محل، وكأحكام جملة الصلة، وكذا جملة النعت والخبر.

وأحوال (إنَّ) من جهة كسر همزها أو فتحها، أو تخفيفها، أو شروط عملها، وشروط عمل بقية النواسخ.

ثمرته:

من أجل ثمار علم النحو:

أ- فهم كلام الله جلَّ وعلا، وكلام رسوله ﷺ وكذلك فهم الكتب المصنفة في علوم الشريعة؛ فإنك إن لم تعرف أن هذا رفع لأنه فاعل، وهذا نصب لأنه وقع عليه فعل هذا الفاعل، لم تفهم الخطاب، ولم تعرف من القائل ومن المقول له، ولا الأمر من الأمور.

ب- تقويم اللسان، بحيث يتكلم المتكلم كما تكلم العرب، فمن تعلم النحو سلِمَ من اللّحن والفساد، وسلِمَ من مخالفة كلام العرب.

نسبته:

هو أحد علوم اللغة العربية، ونسبته لبقية الفنون التباين والتخالف، أي ليس متداخلا مع بقية الفنون.

واضعه:

واضع علو النحو هو: أبو الأسود الدؤلي بأمر من علي بن أبي طالب ؓ.

حكم تعلمه:

تعلم النحو فرض كفاية في كل ناحية من البلاد الإسلامية.
قال ابن تيمية رحمه الله: (تعلم العربية التي يتوقف فهم القرآن والحديث عليها فرض على الكفاية)^(١).

وذهب بعضهم إلى أنه فرض كفاية على مجموع الأمة، وفرض عين على من تصدى للتفسير، أو تصدى لتعليم الناس.

قال ابن حزم رحمه الله: (ولهذا لزم لمن طلب الفقه أن يتعلم النحو واللغة وإلا فهو ناقص منحط لا تجوز له الفتيا في دين الله عز وجل)^(٢).

وقال ابن عثيمين رحمه الله: (يتعين على الطلبة الآن أن يتعلموا النحو وأن يمرنوا ألسنتهم وأقلامهم عليه حتى لا تسوء سمعتهم بين الناس)^(٣).



(١) مجموع الفتاوى (٩ / ١٧١).

(٢) الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٢ / ٨٩).

(٣) شرح ألفية ابن مالك للعثيمين (١ / ٣، بترقيم الشاملة آليا).

التعريف بالمقدمة الآجرومية وترجمة مؤلفها

مصنف الآجرومية من المصنفات الصغيرة الحجم، لكن لم يؤلف مثله في النحو^(١).

وهي مقدمة مختصرة نافعة للمبتدئين، ألفها مؤلفها بمكة المكرمة، ويقال إنه وضعها لابنه أبي عبد الله.

وقد لقيت عناية كبيرة من العلماء شرحاً، ونظماً، وتتميمًا، وإعرابًا منذ ألفها مؤلفها - رحمه الله تعالى - إلى هذا العصر.

وقد طارت شهرة هذه المقدمة في العالم العربي، وظلت الجوامع الكبرى والمدارس تفتح تعليم النحو بهذا للإمامها بقواعد النحو في ترتيب بديع، ولم يهتم بمتن الآجرومية العالم العربي وحده فقد اهتم بها العالم الغربي أيضاً، فطبعها المستشرقون مرارا وترجموها إلى لغاتهم: اللاتينية والإنجليزية والفرنسية^(٢).

التعريف بابن آجروم

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي النحوي المشهور بابن آجروم - بفتح الهمزة الممدودة وضم الجيم والراء المشددة ومعناه بلغة البربر الفقير - الصوفي، قال ابن مكتوم في «تذكرته»: (نحوي مقرئ، له معلومات من فرائض، وحساب، وأدب بارع، وله مصنفات وأراجيز).

(١) تاريخ الزواوة (ص: ١٢٠).

(٢) انظر: تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف (١٠ / ٣٤٧)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢ / ١٧٩٧).

قال السيوطي رحمه الله: (وصفه شراح مقدمته كالمكودي والراعي وغيرهما بالإمامة في النَّحو، والبركة والصلاح، وَيَشْهَدُ بِصَلَاحِهِ عَمُومُ نَفْعِ الْمُبْتَدِئِينَ بِمَقْدَمَتِهِ) ^(١).

ولد بفاس سنة اثنتين وسبعين وستمائة، وتوفي بها في صفر سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ^(٢).



(١) انظر: بغية الوعاة (١/ ٢٣٨)

(٢) انظر ترجمته في: شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٨/ ١١٢)، والأعلام للزركلي (٧/ ٣٣).

[الكلام وما يتعلق به] ^(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

الكلام هو اللفظ المركب المفيد بالوضع.



الشرح



ابتدأ المصنف كتابه بالبسملة تيمناً بالكتاب العزيز، واقتداء بالنبي ﷺ، وعلى هذا سار المصنفون في جميع مؤلفاتهم بيدؤونها بالبسملة أو الحمدلة.

والكلام له معنيان أحدهما لغوي، والآخر نحوي.

تعريف الكلام

أما الكلام اللغوي فهو: عبارة عما تحصل بسببه فائدة، سواء أكان لفظاً، أم لم يكن، كالخط، والكتابة، والإشارة.

وأما الكلام النحوي، فهو ما ذكره المؤلف، وهو ما اجتمعت فيه شروط

أربعة:

شروط الكلام
النحوي

الشرط الأول: أن يكون لفظاً، أي: صوتاً مشتملاً على بعض الحروف الهجائية التي تبتدئ بالألف وتنتهي بالياء، ومثاله: (سعد)، (يأكل)، فخرج بهذا القيد: الإشارة والكتابة ونحوها، فلا تعد كلاماً عند النحاة وإن أفهمّت.

١. أن يكون لفظاً

الشرط الثاني: أن يكون مركباً، أي: مؤلفاً من كلمتين فأكثر، سواء أكان التركيب ظاهراً مثل: (محمد رسول الله)، و: (الإسلام ديننا). أو مقدراً مثل قولك لشخص: (قم)، فهذه الكلمة تعتبر كلاماً؛ لأن التقدير: (قم أنت)، فهي في التقدير عبارة مؤلفة من كلمتين لكن الكلمة الثانية مقدرة، وكأن تقول

٢. أن يكون
مركباً

(١) ما بين المعقوفتين عنوان لتوضيح مسائل الفصل.

لشخصٍ: (من أخوك؟) فيقول: (محمد)، فهذه الكلمة (محمد) تعتبر كلاماً؛ لأن التقدير: (محمد أخي). فهذه في التقدير عبارة عن ثلاث كلمات: (محمد)، و (أخ)، ويا المتكلم.

فالكلمة الواحدة، مثل: (محمد)، و: (زيد)، لا يعد كلاماً عند النحويين؛ لفقده شرط التركيب.

الشرط الثالث: أن يكون مفيداً، أي: يفيد فائدة تامة بحيث لا ينتظر السامع زيادة، مثل: (زيد قائم)، فهذا كلام؛ لأنه أفاد فائدة تامة يحسن سكوت المتكلم عليها.

وقد يكون الكلام مركباً من كلمتين فأكثر لكنه غير مفيد. مثل: (إذا حضر الأستاذ) فهذا لفظ مركب من ثلاث كلمات لكنه لا يسمى كلاماً؛ لأنه لا يفيد فائدة تامة؛ إذ السامع ينتظر ما تقوله بعد هذا مما يترتب على حضور الأستاذ، فإذا قلت: (إذا حضر الأستاذ أنصت التلاميذ) فهذا كلام؛ لأنه أفاد فائدة تامة.

وإذا قلت: (إذا كنت في نعمة....) لم يكن هذا كلاماً عند النحاة حتى تقول: فارعها، وسواء كان اللفظ قليلاً أو كثيراً؛ لا يكون كلاماً إلا إذا كان السكوت عليه حسناً ومفهوماً لدى السامع.

الشرط الرابع: أن يكون الكلام موضوعاً بالوضع العربي في جميع أجزائه، فيخرج بهذا القيد جميع اللغات الأخرى فلا تسمى كلاماً عند النحويين وإن أفادت.

ويدخل في هذا الشرط أيضاً: القصد، فلا بد أن يكون الكلام مقصوداً

٣. أن يكون مفيداً

٤. أن يكون موضوعاً بالوضع العربي مقصوداً للمتكلم